

شارى إفتوتى
تأليف : جورج كيرلس

مرد الإبركسيس في أيام الصوم الكبير.
ومعناه: "الله يرفع هناك خطايا الشعب من قبل المحرقة ورائحة البخور"
في الصوم المقدس يتذكر الشعب خطايه ويراه كالكرمز، فيفنى جسده بالماطانيات التي يقدمها
بتذلل وخشوع في صلاة باكر بعد النبوات. وحتى لا يغم من خطايه كَ "داود" الذي قال: "لاني
أخبرُ بِإثمي. وأغتم من خطيئتي" مز38:18، لذا ترفع الكنيسة صوتها بهذا اللحن الحماسي
"شاري إفتوتي" قائلة :

"الله يرفع هناك خطايا الشعب من قبل المحرقة ورائحة البخور"

وكأنها تعلن لكل الشعب الذي وضع خطيئته أمامه دائماً (مز3:51) قائلة : "لا تغتموا فإن الله
قادر أن يرفع خطاياكم" فقط أرفعوا أصواتكم مع هوشع النبي و"قولوا له إرفع كل أثم وأقبل
حسناً فنقدم عجول شفاهننا" (هو2:14). ويكون لحن "شاري إفتوتي" هو احدى عجول هذه
الشفاة ، "لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايانا" (عب10:4). إنما بدم يسوع يكون لنا
ثقة بالدخول إلى الأقداس (عب 10:19).

ولعل أحدنا يسأل : "لماذا تقال هذه الكلمات في أيام الصوم فقط" ؟ ، حيث أنه في آحاد الصوم
الكبير يقال لحن آخر مختلفا تماما عن هذا اللحن وهو لحن "أرى باميفني". وفي الحقيقة أنه في
آحاد الصوم تقل حالة النسك كثيرا عن باقى الأيام، لأن حالة الفرح التي تجتاح الكنيسة في ذكرى
قيامه المخلص تكون لها الصدارة، وبالتالي فان الشعب لا يكون في حاجة الى لحن يشدد من أزره
مثل "شاري إفتوتي" كحاجته إليه باقى الأيام.

وقد يسأل آخر: "ولماذا تقال هذه الكلمات قبل قراءة الإبركسيس" ؟ (إبركسيس :كلمة يونانية
تعني عمل، وهو الفصل المنتخب للقراءة من سفر أعمال الرسل في قداس الكلمة). والسبب في
ذلك أن قراءة فصل من أعمال الرسل الأطهار يطلع الشعب على القامة الروحية المرتفعة جدا
لهؤلاء الآباء القديسين الذين استطاعوا أن يقيموا الموتى، فقد أقام بطرس طابيثا" من الموت
(أعمال 9 : 36-38)، وأن يشفوا كل مرض وسقم حتى كان ظل أحدهما يشفى الأمراض،
ومناديل وعصائب الآخر تخرج الأرواح الشريرة لذا يكون الشعب في حاجة الى لحن مثل "شاري
إفتوتي" ينزع منه الاحساس بصغر النفس ويعطيه الأمل في أن ترفع خطايه.

نعم لقد استطاعت الكنيسة بهذا اللحن الحماسي "شاري إفتوتي" أن تنتشل الشعب الذي أفنى
جسده بالصيام والماطانيات، من أن يغم من خطايه، وأن ترفعه من بالوعة اليأس بكلمات تعطي
الأمل للخطة وبنغمات ثابتة تشدد من أزره.

ولكن أين سيرفع الله خطايا هذا الشعب... اللحن أجاب قائلاً "اماف" أي "هناك"، و"هناك" هذه
ليست ببعيدة، فقط "أرفعوا أعينكم إلى المشرق لتنظروا المذبح وجسد ودم (أى الذبيحة الحقيقية)
عمانويل إلهنا موضوعين عليه". (من مردات القديس الغريغورى)

و"هناك" هذه ليست ببعيدة، إذ بعد قليل سيقول الكاهن "القدسات للقدسين" فندخل إلى حجال الملك ونتعشى معه. ولكن على أية حال المكان ليس هو "هاهنا" حيث يقف الشعب في المسوح والرماد، لكنه "هناك" على مذبح رب الصاباؤوت حيث المحرقة ورائحة البخور.

وكما قال داوود "اصعد لك محرقات سميئة مع بخور (مز 15:66) وَ قال أيضا "أدخل بيتك بمحرقات أوفيك نذوري التي نطقت بها شفاتي وتكلم بها فمي في ضيقي" (مز 66 : 13،14) هكذا نحن في ضيقاتنا سوف نحمل "ذبيحة النغم" في شفاها و ننتطق بهذا اللحن "شاري إفتوتي"، وكأنه الترنيمة الجديدة التي نطق بها الأربعة والعشرون شيخاً أمام الخروف وهم يحملون قيثارات وجامات من الذهب مملوءة بخوراً هي صلوات القديسين. (رو 5 : 8،9).

إن الدهن والبخور يفرحان القلب (أم 27:9)، وفي إحتراق البخور تظهر معاني التفاني والإحتمال للألم والضيقة والجهد ضد الخطية اللذان بهما تظهر رائحة المؤمنين الذكية، فهم كلما دخلوا في نيران التجارب وصارعوا أجسادهم فأقمعوها وأستعبدوها بالصوم والصلاة وأدلوها بالنسك والتقشف، فاح منهم عطر روي كما تفوح الروائح الطيبة من البخور أثناء إحتراقه. فهكذا قال القديس إفرام السرياني "قد جعلت ذاتي كنيسة للمسيح وقربت له داخلها بخوراً طيباً، أعني أتعاب جسمي".

ما أعظم هذا اللحن الممتلئ قوة تشدد هؤلاء المؤمنين المجتمعين معاً في صوم قاسي طويل إنقطاعي، وكلما ضعفوا شددهم بنغماته الصلبة وإيقاعاته القوية الرصينة المحددة الواضحة. وكلما جرجرتهم الخطية لأسفل، رفعهم بنغماته الشامخة وبكلماته المؤازرة فتفوح من أجسادهم التي سحقها النسك رائحة البخور.

جورج كيرلس